مجلة اللسانيات العربية
The Arabic Linguistics Journal
مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، الرياض، المملكة العربية السعودية
مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية
King Salman Global Academy for Arabic Language
ISSN: 1658-7421

مجلة اللسانيات العربية، العدد 16، جمادى الآخرة، 1444هـ/يناير، 2023م

آليات تحليل الضمني في المحادثة: مقاربة برغماتية عرفانية

خليفة الميساوي
قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك فيصل، الأحساء، المملكة العربية السعودية

توثيق البحث APA Citation:

الميساوي، خليفة. (2023). آليات تحليل الضمني في المحادثة: مقاربة برغماتية عرفانية. *مجلة اللسانيات العربية*، *16*، 87-107.

تاريخ الإرسال:1443/07/24
تاريخ القبول:1443/10/08

Submission Date: 25/02/2022
Acceptance Date: 09/05/2022

الملخص

يدور هذا البحث على معالجة القضايا النظرية والتطبيقية المتعلقة بإنتاج المحادثة وتحليلها في إطار المقاربة البرغماتية العرفانية التي تمكننا من ضبط العلاقات الرابطة بين ما هو ذهني واستعمالي في المحادثة وما تؤديه كذلك من أدوار في تحليل الصريح والضمني وما يمكّننا من ضبط الآليات التي يستخدمها المتكلم في إنتاج المحادثة وفهمها وتأويلها. فسعينا إلى تحديد الإطار النظري للمقاربة البرغماتية العرفانية ومدى أهميتها في تحليل المحادثة، ثم تطرقنا إلى ضبط آليات القول الصريح وآليات الضمني في المحاثة، فبيّنا الحدود اللغوية وغير اللغوية ودورها في تحديد هذه الآليات.

الكلمات المفاتيح: برغماتية عرفانية؛ تحليل المحادثة؛ الصريح؛ الضمني، احتساب المعنى.مدار النقاش، وعليها اعتماد البحث.

Abstract

This paper, entitled “Mechanisms of Implicit Analysis in Conversation: A Cognitive Pragmatic Approach”, deals with the theoretical and practical issues related to the production of conversation in the context of a cognitive pragmatic approach. This approach enables us to determine and analyse the relationships between mental and usage-related, as well as explicit and implicit aspects of conversation. It also helps to determine the mechanisms used by the speaker in the production, understanding, and interpretation of conversation. To these ends, the theoretical framework underlying the cognitive pragmatic approach and its importance in the analysis of conversation is first presented. Then, aspects of explicit statement and implicit mechanisms in conversation are addressed. Finally, linguistic and non-linguistic boundaries are examined, together with their role in defining such mechanisms.

Keywords: Cognitive Pragmatic; Conversation Analysis; Explicit; Implicit, Meaning Calculation

1.مقدمة

تتأسس كل عملية تواصلية كتابية أو شفوية على تبادل المعلومات، وتدور أبعادها على بعدين أساسيين: بعد لساني ظاهر بمكوناته اللسانية التي تبني نظام الخطاب المعجمي والتركيبي وبعد برغماتيعرفاني خفي في ذهن المتكلم يخول له فهم ما يقال وتحليل ما هو ضمني وتأويل ما هو ممكن. سنبحث في إطار هذين البعدين أنواع الآليات التي يستخدمها المتكلم في فهم المحادثة وتحديد ما هو ضمني في الكلام انطلاقا من النظريات العرفانية التي ترتكز مقولاتها على الأبعاد الذهنية في عملية إنتاج المحادثة، وكذلك انطلاقا من البرغماتية التي تؤسس مقولاتها على مبدأ التعاون وما يتضمنه من حكم. ونهدف من خلال الجمع بين البرغماتية والعرفانية[1] إلى فحص العلاقة الرابطة بين الذهني والاستعمالي ودورهما في تحليل الضمني في المحادثة من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية: ما هي الآليات الذهنية والبرغماتية التي يستخدمها المتكلم في تحليل الضمني؟ وإلى أي حد تكون هذه الآليات مجدية في الكشف عنه؟ سنحاول الإجابة على هذه الأسئلة وغيرها من خلال محادثة حقيقية نطبق عليها المقاربة البرغماتية العرفانية لضبط الآليات التي يستخدمها المتكلم في فهمه الضمني وتأويله.

2.البرغماتية العرفانية في تحليل المحادثة

تهتم البرغماتية العرفانية بالحالات الذهنية للمشاركين في المحادثة وكيفية إدراكهم العلاقة الرابطة بين المتصورات والأفكار والمنجز من الكلام. وترتكز عملية التحليل في مجال البرغماتية العرفانية على الأبعاد الثلاثة التي حددها (غرايس، Grice،1975) وهي: البعد التعاوني والبعد التشاركي والبعد التواصلي وتعد هذه الأبعاد من مكونات قوانين المحادثة وتحليلها. ويقوم البعد التعاوني على مبدأ التعاون وحكمه[2]، وهو مبدأ ضروري في المحادثة يساعد المتكلم على التبادل الكلامي واسترساله في نسق تطوري تبنى من خلاله الأدوار الكلامية بين المشاركين في عملية التلفظ وتتناسق الأفكار وتترابط. ويرتكز البعد التشاركي على ما هو مشترك بين المتكلمين من ثقافة ونظام اجتماعي ومعرفة مشتركة، وهو بعد ضروري يساعد المتكلم على فهم المعاني البرغماتية في المحادثة وتحليلها وتأويلها. ثم يركز البعد التواصلي على الأهداف والمقاصد من المحادثة. فكيف في ضوء هذه الأبعاد وأهميتها ينتج المتكلم ما هو صريح وما هو ضمني في المحادثة؟ وما هي القوانين المتحكمة في عملية الإنتاج والفهم والتأويل؟ وكيف تتنزل هذه القوانين في إطار البرغماتية العرفانية؟

تعني البرغماتية في أبسط معانيها دراسة المعنى من خلال سياقات استعماله؛ أما إذا تفاعلت مع العرفانية فيصبح معناها شاملا لكل المبادئ والعمليات الإدراكية التي يتطلبها فهم المعنى في السياق وإمكانات تأويله. وقد عرّف (برينو بارا ،Bruno Bara، 1999) البرغماتية العرفانية[3] بأنها "دراسة الحالات الذهنية للأشخاص المشاركين في عملية التواصل، وهي تهتم بتحليل التفاعلات التواصلية. وتستند أساسا في تحليل التفاعلات التواصلية على الحالات الذهنية ومعالجة الدوافع الذاتية والمعتقدات والأهداف والرغبات والمقاصد. ثم تعالج في المرحلة الثانية من التحليل كيفية التعبير عن هذه الحالات" (ص 1). وهذا يعني أنّ الاستعمال في ضوء الدراسات البرغماتية يعتمد أساسا على افتراضات المتكلمين واستدلالاتهم التي يحملونها تجاه بعضهم بعضا ووعيهم بسياق الحديث والمعارف العامة الأساسية والافتراضات الضمنية المتعلقة باستعمال اللغة نفسها[4] ولذلك أدرج الباحثون البرغماتيون كل ما ينتجه المتكلم أثناء تلفظه من موارد لسانية وغير لسانية تحت فروع العلوم العرفانية المهتمة بعملية التواصل[5]. وتعتبر المحادثة إحدى قنوات التواصل الناجعة في تطبيق مجال البرغماتية

العرفانية لأنّها تجمع بين عدد من خصائصها الذهنية والإنجازية واللسانية وغير اللسانية؛ إذ يميل المشاركون في المحادثة إلى إنتاج أدوارهم الكلامية وفق شروط لسانية تسمح بها قدراتهم الذهنية واللغوية، وكذلك وفق شروط اجتماعية وثقافية تسمح بها وضعية التلفظ وسياقات القول والقيود المتحكمة في إنتاجه وفهمه وتأويله. ولمّا كان المتكلم يعتمد في كلامه التصريح والتلميح والصريح والضمني، فإنه لا يكتفي بما تقدمه البنية اللسانية[6] من معجم وتركيب ودلالة، بل ينزع إلى تضمين قوله معاني لا يُهتدى إليها إلا بالاعتماد على مؤشرات سياقية وعوامل ذهنية ونفسية وثقافية تساعد على ضبطها وتأويلها. وانطلاقا من هذا التصور لمفهوم المحادثة وتكوينها الذهني والإنجازي، ارتأينا أن تكون طريقتنا في التحليل معتمدة على البرغماتية العرفانية لما توفره من طرق منهجية تمكننا من تحليل المعاني الصريحة والضمنية في المحادثة واستنباط القوانين المتحكمة في إنتاجها وتأويلها. وسنعتمد في هذا التحليل على محادثة حقيقية تم تسجيلها بين طالبين. ولا يعني الاعتماد على متكلمين ضرورة ملحة في البرغماتية العرفانية؛ إذ يهتم المحلل بدراسة البنى الذهنية للمتكلمين وانعكاسها في مستوى الحديث، وبعبارة أخرى يهتم بكيفية التمثيل الذهني للمحادثة التي يشارك في إنجازها على الأقل متكلمان يتحاوران بطريقة حرة وعفوية[7] ولهما النية فيما يعتقدان فيه أنه تفاعل يجعل عملية التواصل بينهما ممكنة. فعندما يسأل شخص شخصا آخر مثلا عن وجود محطة بنزين، فيفترض على المستوى الذهني أنّ كلا منهما يملك تصورا عن مفهوم محطة البنزين والخدمات التي تقدمها، ثم تتولد عن هذا المفهوم معان أخرى، كأن يسأل السائل عن أقرب محطة إلى موقعه وأنه يحتاج البنزين، وضمنيا أنّ له سيارة وأنّ خزّانها فرغ من البنزين، وهكذا تتولد المعاني الضمنية من المعنى الصريح وفق الشروط المعرفية والثقافية والاجتماعية للمتحاورين وما تحمله من تصورات فكرية وقيود إنجازية تتحكم فيها البنية الذهنية لكل شخص وكذلك قيود وضعية التلفظ وما تفرضه من ضوابط اجتماعية وثقافية على المتكلم لحظة إنتاج خطابه.

فالعبارات المستخدمة في المستوى المعجمي بصفة صريحة ومتفق عليها اجتماعيا قد تؤدي إلى معان مختلفة حسب طريقة الاستعمال وما يحيط بها من قيود عرفانية وبرغماتية توجه المشارك في المحادثة إلى فهم معيّن تفرضه هذه القيود ومن خلالها يتم احتساب المعنى وفهمه وتأويله[8]. إنّ مستويات التمثيل الذهني المنعكسة في الاختيارات المعجمية والتخطيط التركيبي والدلالي والقصدي هي مستويات عرفانية تعضدها مستويات برغماتية يستخلصها المشارك في المحادثة من وضعية التلفظ والسياقات المحيطة بها، ولذلك، فهي وضعية تفاعلية أساسا على المستويين الذهني والإنجازي تمنح المشاركين إشارات تساعدهم على الدخول إلى المعنى الضمني في المحادثة وعلى أساسها يتم احتساب المعنى وضبط آليات تأويله.

يبني المشارك في المحادثة عالمه الذهني وفق مخطط معنوي وقصدي يرسمه في شكل تركيبي واختيار معجمي يأمل من خلاله أن يصل هذا المخطط إلى مشاركه عبر عملية تفاعلية تواصلية تنجز في خطاب صريح أو ضمني أو معا. ولذلك لا يتوقف التفاعل على مستوى العملية التواصلية والسياقات البرغماتية[9] وما يحيط بها من قيود إنجازية وتأويلية؛ بل يتعداها إلى مستويات أخرى من التفاعل بين البنية الصريحة والبنية الضمنية في المحادثة وما يكتنفهما من وضوح أو غموض أو سوء فهم. وعلى أساس درجات الوضوح والغموض تُبنى العلاقة بين الصريح والضمني، وكذلك تحدد على هذا الأساس العلاقة بين

العرفاني والبرغماتي في المحادثة[10]، وانطلاقا من ضبط هذه العلاقات يبني المشاركون مستويات الفهم ودرجات التأويل ويحددون أهدافهم ومقاصدهم من المحادثة.

ولكن هل اللغة وحدها كفيلة بضبط هذه العلاقات بين الصريح والضمني في المحادثة؟ لا شك في أنّ المخططات الذهنية والاختيارات المعجمية والتركيبية المتولدة عنها لها قيمة بالغة الأهمية في المستويات اللغوية ودلالاتها الصريحة ومعانيها الضمنية، ولكنها في رأينا غير كافية للقيام بهذه الوظيفة في المحادثة إذ الأمر يتعلق بدرجة التفاعل بين المشاركين ونواياهم في إجراء محادثة صريحة أو ضمنية. فالمتكلم هو المسؤول الأول عن مستويات الصريح والضمني في خطابه وهو من يتحكم في لعبته ويوجهها حسب أهدافه ومقاصده، ويتطلب هذ الأمر مستويات أخرى تتجاوز المستوى اللغوي إلى فهم المستويات الثقافية والمعرفية المشتركة بين المشاركين في المحادثة وكذلك فهم القوانين والضوابط الاجتماعية لعملية التلفظ؛ إذ قد يفهم المستوى الصريح بطرق مختلفة من مشارك إلى آخر ومن مجموعة اتصالية إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر.

من البديهي أن تعد اللغة أفضل وسيلة اتصالية تميز بها الإنسان ولكنها ليست الوسيلة الوحيدة؛ إذ أفرزت النظريات التواصلية الحديثة أهمية القنوات الاتصالية الأخرى التي يعتمدها الإنسان ومنها الأشكال التعبيرية التي تصاحب المحادثة من إيماءات وحركات ووضعية الجسد وزمان المحادثة ومكانها والعلاقة الرابطة بين المشاركين فيها وموضوع الحديث وطرق التلفظ وطبيعة التنغيم وحالة المتكلم النفسية ومستواه التعليمي والمعرفي والطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها وجنسه وعمره إلخ.

وتسهم حالة المتكلم الفيزيائية والنفسية في إنتاج مستويات من التفاعل معقدة تتجاوز السبب والنتيجة أو المثير والاستجابة، فتُبنى الأدوار الكلامية للمشاركين بطريقة معقدة تتطلب جهدا معرفيا وثقافيا وبرغماتيا لتحليلها وفك رموزها وضبط قوانينها[11]. وتخضع عملية الإنتاج والتحليل لفهم طبيعة التفاعلات الذهنية والبرغماتية البانية لمعنى الكلام الصريح والضمني على حد السواء. ومن الطبيعي والمنطقي أن تتفاوت الجهود المعرفية التي يبذلها المشاركون في المحادثة في تفسير الصريح والضمني وتحليله وتأويله؛ إذ يستدعي المشارك جهودا معرفية إضافية لاستنباط الضمني في الخطاب، فيبحث عن مؤشرات أخرى يولدها من الثقافة والنظام الاجتماعي الذي ينتمي إليه، وكذلك ما يحيط بوضعية التلفظ من سياقات وقيود تساعده على كشف الضمني. ويوازن المشاركون بين المؤشرات الكلامية والسياقية بطريقة تتفاعل فيها الحالة الذهنية العرفانية والمعطيات البرغماتية المتحكمة في إنتاج المحادثة لحظة إنجازها حتى يتمكنوا من فهم المحتوى الضمني للمحادثة وتحليل مستوياته[12]. ولذلك نعتبر أن مقومات التفاعل الاجتماعي من مكان وزمان وطبيعة العلاقة بين المشاركين في المحادثة ضرورية في فهم الضمني؛ فهي توجه المؤول إلى ضرب من التأويل يرتبط بوضعية تلفظية ما قد تختلف عن وضعيات تلفظية أخرى حتى وإن كان المتلفظ به في البنية الصريحة هو نفسه ولذلك تختلف شروط التأويل باختلاف الوضعيات التلفظية، فيختلف المعنى الضمني.

ويعتمد المشارك في المحادثة في استخراجه المعنى الضمني على عدة مؤشرات وملامح لسانية سواء تعلق الأمر باختياراته المعجمية والتركيبية أو باختياراته الصوتية مثل درجة الصوت والتنغيم أو استعماله أجزاء جسدية وحركية للتعبير

عن معنى معين. وتمثل هذه المؤشرات والملامح قوانين فيزيائية يستعين بها إلى جانب القوانين اللسانية ليتمكن من ضبط قوانين المعنى الدلالي والبرغماتي في الملفوظ من جوانبه التقريرية والافتراضية والضمنية. ولهذا الغرض يستخدم المتكلم آليات عرفانية كما حددها العرفانيون مثل الأطر frames والخطاطات scripts والخطاطات schemata التي تمثل المعرفة الأساسية لدى المتكلمين. ولذلك فإن الجمع بين العرفانية والبرغماتية للكشف عن آليات تحليل الضمني في المحادثة نراه جمعا مشروعا وذا جدوى يمكّن الباحثين في هذا الإطار من الكشف عن كيفية استخدام المتكلم هذه الآليات العرفانية في عملية بناء المعنى وإنتاجه وفهمه وتأويله، كما تمكنه الآليات البرغماتية من فهم الملفوظ وضبط سياقاته وتحديد معانيه الصريحة والافتراضية والضمنية. فباستخدام الآليات العرفانية والبرغماتية يمكن أن يتمكن المتكلم من احتساب المعاني الصريحة والضمنية في المحادثة مما يمكّنه من إنتاج تفاعلات كلامية وغير كلامية، وهو ما سنقوم به من خلال تحليل هذه المحادثة بالاعتماد على ما توفره البرغماتية العرفانية من آليات نستكشف من خلالها المعاني الصريحة والضمنية فيها.

رقم الدور الكلامي	رمز المتكلم	نص المحادثة[13]
-1	أ:	*السَّلَامُ عليكُمْ*
-2	ب:	***وَعلَيْكُمْ*** *السَّلَامْ*
-3	أ:	*اتْفَرَّجْتْ فِي المَاتشْ إِمْتَاعْ البَارِحْ*
-4	ب:	*اتْفَرَّجْتْ (.) يَا* ***خُويَا*** ↑ *مَلاَّ مَاتِشْ طيَّارَهْ عَلْخَرْ*
-5	أ:	*أَنَا* ***بْصَرَاحَهْ*** *عُمْرِي مَا اتْفَرَّجْتْ فِي مَاتِشْ كِيفُو* \
-6	ب:	***يَا*** ↑ ***وِلْدِي*** *رَاهُو شَيْ إِهَبِلْ الْجْمَاعَهْ بَعْدْمَا كَانِتْ بَالْعَهْ اثْنِينْ اتْقِلْبُو عْلِيهِمْ قَلْبَهْ مَاتْمَّاشْ*
-7	أ:	*أَنَا* ***بْصَرَاحَهْ*** *اِعْجْبْنِي لاَرْبِيتَرْ (.) يَاسِرْ طيَّارَهْ*
-8	ب:	*تَاشْبِيكْ رَهُو أَرْبِيتَرْ عَالِمِي (.)* ***يَاخِي*** *تَحْسَابُو شْوَيَّهْ؟*
-9	أ:	***برْجُولِيَهْ*** *يَعْطِيهْ الصَّحَهْ [ ] غَلْطَهْ لاَ*
-10	ب:	*أَنَا* ***بْصَرَاحَهْ*** *مَا كُنْتْشْ نِتْصَوَّرْ لُخْرِينْ بَاشْ يِرْبْحُو بَعْدْ لاَ إِكْلُو زُوزْ*
-11	أ:	***يَا*** ↑ ***وِلْدِي*** *كُلْ شَيْ مُمْكِنْ فِي الكُورَهْ (.) اِنَّجْمُو اِنْكُونُو خَاسْرِينْ* ***حَتَّى*** *أَكْثَرْ* ***وُ*** *تِتْقِلْبْ الْ Partie* ***وُ*** *نِرْبْحُو* \
-12	ب:	***حَتَّى*** *الْجُمْهُورْ عِنْدُو دَوْرْ كْبِيرْ رَاهُو مَا اِسْكَتْشْ خْلاَصْ*
-13	أ:	***يَا خُويَا*** *مَبْرُوكْ عْلِينَا اِرْبَحْنَا عَنْ جَدَارَهْ*
-14	ب:	***برْجُولِيَهْ*** *تِسْتَاهْلُو الرِّبَحْ (.) " équipe " قْوِيَّهْ ظْهَرْتْ الْبَارِحْ*

رقم الدور الكلامي	رمز المتكلم	نص المحادثة بالعربية الفصحى
-1	أ:	*السَّلَامُ عَلَيْكُمْ*
-2	ب:	*وَعَلَيْكُمْ السَّلَامْ*
-3	أ:	*أ شاهدت مباراة البارحة؟*
-4	ب:	*شاهدتها (.) يا أخي كم هي رائعة!*
-5	أ:	*إنا بصَرَاحَة لم أشاهد في حياتي مباراة مثلها *
-6	ب:	*يا ↑ ولْدي إنه شيء خارق للعادة، الفريق بعد أن كان خاسرا بهدفين انقلب على الفريق الثاني وهزمه.*
-7	أ:	*أنا بصَرَاحَة أعجبني الحكم، فهو ممتاز جدا.*
-8	ب:	*مالك؟ إنه حكم دولي (.) أتظن أنه بسيط؟*
-9	أ:	*إنه جدير بالاحترام [] لم يرتكب أي خطأ.*
-10	ب:	*أنَا بصَرَاحَةْ لم أتصور أنّ الفريق سيربح بعد أن كان مهزوما بهدفيْن.*
-11	أ:	*يا ↑ ولْدي كُل شيء مُمْكنْ في الكرة (.) نستطيع أن نكون خَاسرنا بأَكْثَرْ من هدفين ونتمكن من الربح *
-12	ب:	*حَتَّى اِلْجُمْهُور له دَوْر كْبير فهو لم يتخل عن تشجيع الفريق ولو للحظة واحدة.*
-13	أ:	*يا أخي مبروك لنا ربحنا عَنْ جَدارَة*
-14	ب:	*إنهم جديرون بذلك، يستحقون اِلرِّبَح (.) " يبدو أن الفريق كان قويا البارحة.*

3. آليات تحليل الملفوظ الصريح في المحادثة

اتبع تحليل المحادثة منذ نشأته في النصف الثاني من القرن العشرين مسارين بارزين: مسار اهتم بالبحث في طرق بناء المحادثة، من أبرز رواده (ساكس وشاغلوف وجفرسن، Sacks, Schegloff, Jefferson، 1974) .ومسار اهتم بالجوانب البرغماتية والتفاعلية والاجتماعية، من أبرز رواده (غرايس1975، و هرتاج Heritage، 1984، و غمبرز، Gumperz، 1989)[14].وسنركز في تحليلنا هذه المحادثة على اتباع المسار الثاني أي البرغماتي العرفاني لاستجلاء الأنظمة التفاعلية والبرغماتية والاجتماعية التي تتضمنها المحادثة. ويهدف تحليل المحادثة حسب هرتاج(1984، ص 1) إلى وصف القدرات التي يستعملها المتكلم وتفسيرها

قصد المشاركة في التفاعل وكذلك النظام الاجتماعي بصورة خاصة. ونفهم من هذا الطرح أن تحليل المحادثة يهتم بالجوانب اللسانية وغير اللسانية مثل الحركات المصاحبة والابتسامات والإشارات وغيرها مما ينتجه المتكلم في الوضعية التلفظية. وهذا ما يجعلنا نعتبر أنّ الصريح في المحادثة هو كل ما ينتجه المشاركون فيها من تعابير لسانية ألفاظ وتراكيب وجمل وكذلك ما يصاحبها من تعابير غير لسانية قد تحدث أثناء عملية التلفظ[15].

تفتتح المحادثة عادة بإنتاج عبارات تفيد تبادل التحايا من قبيل (السلام عليكم) يصرح بها المتكلم ليبدأ عملية تفاعلية ناجحة تسهم في تسلسل المحادثة من الناحية التركيبية، فتتابع الأدوار الكلامية متأثرة بما قيل في الافتتاح ومدى التعاون والاستجابة له من المشاركين، فعلى قدر درجة التعاون تكون درجة التفاعل. ويتأثر إنتاج الأدوار الكلامية والأفعال الكلامية بمدى هذه الدرجة، ولذلك فجملة (السلام عليكم) في المحادثة السابقة بينت مدى التعاون والتفاعل الحاصل وهو ما سينعكس على بقية الأدوار الكلامية، وكذلك بينت على المستوى الكمي والكيفي أن المعنى الصريح في هذه العبارة يفيد أن المشاركين في المحادثة يعرفان بعضهما من قبل، وهو ما جعلهما يدخلان مباشرة في موضوع المحادثة الذي يمكن اختزاله في فعل كلامي شاملمفاده الفرجة في مباراة كروية، تجلت مضامينه الصريحة في دلالات التراكيب ومعاني الألفاظ المعجمية المختارة بعناية للتعبير بطريقة صريحة ومباشرة عما دار من أحداث في المباراة. فجاء الدور الكلامي الأول في شكل سؤال مباشر مبني على معلومات مسبقة يفترض أنّ طرفي المحادثة على علم بها، وهو ما جعل مسار المحادثة يتخذ اتجاها معينا بناء على هذا الافتراض المسبق المتعلق بعملية المشاهدة، فتتالت الأفعال الكلامية بطريقة متسلسلة معجميا ودلاليا ومترابطة منطقيا وبرغماتيا. ولذلك توالدت الألفاظ من حقل دلالي واحد يتعلق بلعب الكرة، فولدت لفظتا المشاهدة/ الفرجة والمباراة اللوازم اللفظية الأخرى المرتبطة بها من قبيل (الإعجاب والجمهور والحكم والتحكيم والنتيجة والانتصار والهزيمة)وهي ألفاظ لها معان صريحة ساعدت المشاركين على بناء محادثة متسلسلة ومترابطة معجميا وتركيبا، وأسهمت في نجاح عملية التفاعل بينهما؛ إذ نلاحظ من خلال تسلسل الأدوار الكلامية وبنائها بطريقة محكمة أنّ عملية التفاعل كانت متدرجة في مداها من الأسفل إلى الأعلى. ويعود هذا الأمر إلى وضوح المعاني الصريحة وما تقدمه من كمية معلومات بطريقة واضحة في أذهان المشاركين مما يسهّل التزامهما بمبدأ التعاون وما يتطلبه من حكم تحادثية تتمثل في حكمة الكم وحكمة الكيف وحكمة العلاقة أو المناسبة وحكمة الأسلوب (غرايس، 1975). تمثل هذه الحكم شروط إنتاج المعاني الصريحة في المحادثة، فهي تقدم قدرا من المعلومات المفيدة من ناحية الكم والكيف بطريقة واضحة ومناسبة، وعلى المتكلم أن يلتزم بها في إنتاج أدواره الكلامية حتى تكون عملية التفاعل ناجحة والتواصل ممكنا، وينعكس هذا التفاعل والتواصل في إنتاج كمية من الألفاظ المتجانسة دلاليا والمنتظمة تركيبيا يقدمها المتكلم في سلسلة كلامية مسترسلة تتميز بالانسجام والترابط.

قدم المشاركان المعلومات من الناحية الكمية مبنية بشكل منطقي يجعل المعاني الصريحة يتولد بعضها من بعض:

فعل المشاهدة ⟵ المباراة

المباراة ⟵ رائعة

رائعة ⟵ لم أشاهد في حياتي مثلها

لم أشاهد في حياتي مثلها ← شيء خارق للعادة

الخسارة ← الهزيمة

المباراة ← الحكم

الحكم ← الإعجاب والروعة والامتياز

الحكم ← جدير بالاحترام

جدير بالاحترام ← حكم دولي

حكم دولي ← لم يرتكب أي خطأ

الفريق ← الربح + الخسارة + الأهداف

الربح ← لم أتصور...

الربح + الخسارة ← كل شيء ممكن في الكورة

الفريق + الربح + الخسارة ← دور الجمهور

دور الجمهور ← التشجيع

الفريق+ الجمهور+ التشجيع ← الربح عن جدارة

الربح عن جدارة ← قوة الفريق + الاستحقاق

نلاحظ من خلال التوزيع السابق أنّ الألفاظ والتراكيب يولّد بعضها بعضا في صيغة سلسلة كلامية يحكمها نظام بنيوي وذهني خطي مسترسل بطريقة منطقية تبرهن على نجاح مبدأ التعاون وحكم التحادث، فجاءت عملية التوليد المعجمي في شكلين: شكل بسيط تولّد فيه لفظة لفظة أخرى، وشكل مركب تولّد فيه لفظة مجموعة من الألفاظ أو جملة، فيتج عن هذا البناء إنتاج متصورات ذهنية اتسمت بالوضوح الدلالي وسهولة إدراك المعنى وفهمه، وهو ما يجعلنا نقر مصادرة تخص تحليل المعنى الصريح في المحادثة مفادها أنّ المعنى الصريح مرتبط بمدى تطبيق مبدأ التعاون وحكم التحادث، وهذا الأمر توفر في المحادثة السابقة مما جعلها تسترسل استرسالا لسانيا ومنطقيا ناجحا؛ أي لم تنقطع فيه السلسلة الكلامية ولم يتوقف مبدأ التعاون أو يتم خرق حكم التحادث، فكانت عملية التوليد المعجمي والتوليد الدلالي خاضعة لبناء لساني وذهني واضح ومناسب لأحداث الكلام[16]. فاختار كل مشارك، على المستوى المعجمي، الألفاظ المناسبة لموضوع الحديث، فنتج عن هذا الاختيار وضوح دلالي وتكامل تركيبي أدّيا إلى إنتاج معان صريحة لا تحتاج إلى جهد برغماتي ومؤثرات سياقية بدرجة عالية مثلما هو الأمر بالنسبة إلى المعاني الضمنية.

4. آليات تحليل الملفوظ الضمني في المحادثة

تحمل أغلب الملفوظات في طياتها محتويات ضمنية، وقلّما لا يستخدم المتكلمون ملفوظاتلا تحتوي شكلا من أشكال الضمني أو مستوى من مستوياته. ويميل الخطاب الشفوي إلى تكثيف هذه الظاهرة أكثر من غيره؛ إذ حسب (أوركيوني،Orecchioni، 1998) "فإنّ التعابير المكتوبة تكون أقل غنى بالمعاني الضمنية من التعابير الشفوية" (ص15). وتنسحب هذه المصادرة على المحادثة باعتبارها صنفا من أصناف الخطابات الشفوية التي يلجأ فيها المشاركون إلى إنتاج ضروب من التضمين لغايات برغماتية وتواصلية، ويرى موشلار(Moeschler، 1996) وهو من المحللين التفاعليين، أنّ " المعنى لا يكمن في الملفوظ؛ بل هو بنية تفاعلية حوارية تخضع لنتيجة المجرى التفاوضي التفاعلي" (ص14). وانطلاقا من كثافة المعنى الضمني في المحادثة باعتبارها نشاطا كلاميا عرفانيا وبرغماتيا لا بد من تحديد أنواعه حتى نتمكن من فهم قوانين اشتغاله وطرائق تأويله.

1.4. أنواع الضمني في المحادثة

تعرضت دراسات كثيرة إلى تصنيف أنواع الضمني في المحادثة من أبرزها تصنيف غرايس الذي تعرض للنقد من قبل بعض الدارسين من أبرزهم (صادق، Sadock، 1978) و أوركيوني (1986) التي اختصرته في الشكل التالي:

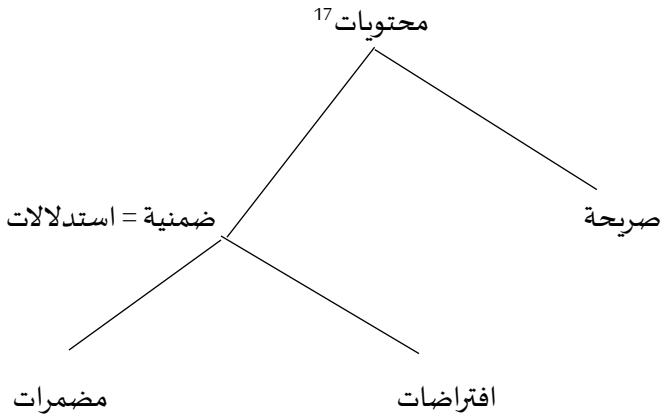

نفهم من هذا الرسم أن الضمني في الخطاب وفي المحادثة بصفة خاصة يقوم على الافتراضات والمضمرات. فماهي قوانين اشتغالهما في المحادثة؟ وهل لكل منهما خصوصيات تميزها عن الأخرى؟ سنجيب على هذين السؤالين بالاعتماد على المحادثة السابقة.

1.1.4. الافتراضات présuppositions

يصرح المشارك في المحادثة بكمية من المعلومات ذات دلالات صريحة لا يحتاج فيها السامع إلى مجهودات تأويلية لفهم المعنى، ولكنه ينتج كذلك كميات من المعاني الضمنية من خلال الافتراضات التي تصاحب المعلومات الصريحة؛ إذ "يحدث في الواقع أنّ ملفوظا واحدا يشحن مرتين أو عدة مرات على المستوى التلفظي الإنجازي، فتضاف إلى البرغماتية الحرفية قيم كلامية مشتقة" (أوركيوني، 1998، ص 66). وفي هذا الإطار تصبح الافتراضات ضربا من الاشتقاق يشتق فيه المعنى الضمني الافتراضي

من المعنى الصريح وهو ما يبرر وجود تواصل بينهما يسمح للمشارك أو المؤوّل أن يبحث عن قرائن عرفانية وبرغماتية للتمييز بين المعاني الصريحة والمعاني الضمنية، وللبرهنة على هذه الفرضية نحلل الأمثلة التالية:

د. 3-أ-: أ شاهدت مباراة البارحة؟

يصرح المتكلم (أ) في الدور الكلامي (3) بسؤال مفاده حسب المعنى الصريح أنّ هناك مباراة كروية قد دارت البارحة. يمكن أن نشتق من هذا المعنى الصريح المعاني الافتراضية التالية:

م (1): أنّ المتكلم شاهد المباراة

م (2): أنّ الفريقين اللذين أجريا المباراة فريقان مهمان

م (3): أنّ المباراة مهمة إلى درجة أنها تستحق المشاهدة

م (4): أنّ المتكلم مهتم بالكرة ومتابع لها

م (5): أنّ المشاركين في المحادثة يعرفان بعضهما مسبقا وتربطهما علاقة صداقة جيدة

م (6): أنّ المخاطَب مهتم بالكرة

م (7): أنّ المتكلم يريد أن يعرف مدى اهتمام المخاطَب بالكرة وبالمباراة

م (8): ... إلخ.

يمكن أن نعمم هذا المنهج التحليلي على بقية الأدوار الكلامية الأخرى فتشتق المعاني الضمنية الافتراضية الممكنة حسب الكفاءة التأويلية للمؤوّل ومدى قدرته على استخراج المعاني الضمنية المفترضة. ويمكن أن نستنبط قانونين أساسين يتحكمان في علاقة المعاني الضمنية بالمعاني الصريحة.

أ -أنّ المعاني الضمنية الافتراضية ذات علاقة استرسالية مختلفة المدى مع المعاني الصريحة.

ب-أنّ المعنى الصريح قد يولّد جملة من المعاني الافتراضية بالاعتماد على قدرة المتكلم العرفانية والبرغماتية.

ونختزل هذين القانونين في المعادلة التالية:

م (ص) ⟵ م (ض)(ن) ± (ق)(م)

2.1.4. المضمرات sous-entendus

تعتبر أوركيوني (1998، ص 21-22) "أنّ المحتويات الضمنية سواء كانت افتراضات أو مضمرات تشترك من حيث المبدأ في أنها لا تشكل موضوع الكلام الحقيقي، في حين أنّ المحتويات الصريحة تتلاءم مع موضوع الرسالة الأساسي الذي يجب نقله". ومن ثمة، فهي تخضع المعطيات العرفانية والبرغماتية لكل متكلم ويمكن استنباطها حسب درجة وضوحها وتفعيلها في ذهنه من ناحية ومن خلال الوضعية التلفظية والقرائن السياقية التي أُنتج فيها الملفوظ من ناحية ثانية. فيتولّد المعنى الضمني أثناء تبادل الأدوار الكلامية من البنية اللسانية للمحادثة وقدرة المتكلم المعرفية ودرجة وضوحها في ذهنه وإمكانية تأويلها، ويتولّد المعنى الضمني خارج المحادثة من السياق ووضعية التلفظ والمعرفة المشتركة[18]. وعلى هذا الأساسيمكن أن نستنبط المعاني

الضمنية بالاعتماد على الكفاءات اللسانية والعرفانية والبرغماتية؛ إذ باشتغالها معا يمكننا أن نفهم المعاني الضمنية المقصودة في المحادثة.

د. 10-ب-: أنَا بصَرَاحَةْ لم أتصور أنّ الفريق سيربح بعد أن كان مهزوما بهدفيْن.

يمكن أن نستخرج من هذا الدور الكلامي المعاني الضمنية التالية:

م (1): أنّ الفريق المنافس قوي

م (2): أن الربح فجائي

م (3): أنّ لعبة الكرة لا تخضع لمنطق معين وللحظ فيها أحيانا دور

م (4): أنّ المدرب القوي قادر على قلب النتيجة لفائدته

م (5): أنّ الربح مرتبط بالعزيمة والإرادة

م (6): أن عوامل الربح والخسارة في الكرة متعددة

م (7): ...إلخ

استخدم المشارك في المحادثة كفاءات متنوعة لفهم المعاني الضمنية المذكورة سابقا. فمن خلال عبارة "لم أتصور" فهم أنّ مخاطبه غير مقتنع بالنتيجة وهو ما مثل لديه استغرابا ودهشة، مما جعله يعتبر النتيجة أمرا مفاجئا بالنسبة إليه، فولّد هذا المعنى الضمني المدرك ذهنيا عدة معان ضمنية أخرى لها علاقة بالنتيجة المفاجئة التي اتخذها المشارك مرتكزا لبناء تصورات ذهنية عرفانية حول لعبة كرة القدم تجلت فيما ضبطناه من معان ضمنية ممكنة. واعتمد كذلك في قوله هذا على المعطيات البرغماتية والسياقية التي دارت فيها المباراة وتجلت في جودة التحكيم؛ وتميز الحكم؛ ودور الجمهور؛ وأهمية الفريق والمباراة وقوة المدرب على قلب المعطيات لصالحه. وردت هذه المعاني الضمنية في شكل طبقات دلالية متراكبة ومتدرّجة في التسلسل؛ إذ حسب (أوركيوني، 1998) "تبدو الملفوظات في شكل رقائق ذات بنية دلالية تتكون من مجموعة محتويات قضوية تشتق من بعضها بعضا بطريقة متسلسلة ومتعدية ويهدف الوصف إلى إعادة بناء السلسلة التأويلية التي تؤدي إلى الطبقات الدلالية الأكثر تخفيا واحتمالا انطلاقا من المحتويات الأكثر وضوحا" (ص 14). وبالتالي، فالمتكلم يبحث عن الضمني في المحادثة/ الخطاب بطريقة متدرجة ينطلق فيها من المعنى الضمني الأقرب إلى المعطيات العرفانية والبرغماتية الأكثر وضوحا؛ وصولا إلى الأبعد في التخفي. وتختلف هذه العملية الإجرائية من متكلم إلى آخر كل حسب امتلاكه هذه المعطيات وقدرته على التحكم فيها وتوظيفها في استنباط المعاني الضمنية انطلاقا من المعاني الصريحة ومما يحيط بها من سياقات تساعد على الفهم والتأويل. ويمكن أن نعتبر حسب هذا التحليل أن الضمني في المحادثة تتحكم فيه معطيات عرفانية تخوّل للمتكلم فهم دلالة الملفوظ وضبط متصوراته ومعطيات برغماتية تسهّل عملية التأويل واحتساب المعنى.

2.4. إجراءات فهم الضمني في المحادثة

يبني المتكلم عالمه الذهني وهو ينتج ملفوظات انطلاقا من أطر ومخططات وخطاطات يستخدمها لضبط كيفية اشتغال المعاني في الذهن؛ وكيفية انعكاسها في المحادثة موزعة عبر أدوار كلامية مقيدة بنظم عرفانية وبرغماتية تربط بين ما هو متصوري وما هو إنجازي أثناء عملية التلفظ.

أ. الأطر

يستعمل مصطلح الإطار في الدراسات العرفانية " ليصف المعرفة الأساسية حول الأشياء" (كولسون Coulson،2001،ص 104) وهو ضرب من التمثيل الذهني للمتصورات وتحديد معانيها في علاقتها باستخدامها على المستوى اللغوي، "وهو جملة المعارف (المفاهيم، التمثيلات، الصور) المترابطة المنضدة المحفوظة في النظام العرفني. وهو مفهوم نحوي في اتصاله بدلالة الوحدات اللغوية من حيث انتظامها في أطر تترابط فيها معان عديدة ترابطا يجعل منها كلا منضدا. فالإطار مفهوم واحد ذو مظهر عرفني تصوري صرف وذو مظهر لغوي دلالي وكلاهما يعاظل الآخر" (الزناد، 2011،ص 98). فالمتكلم له أطر ذهنية تبني تمثيلاته الدلالية ومتصوراته حول اللغة والعالم، ولذلك، فهو ينتج كلمات وجملا وخطابات تعكس هذه الأطر الذهنية أو تتصل بها في بناء المعنى وتحديد مقاصده. وليست اللغة مجرد أداة للتواصل فحسب؛ بل هي أيضا تعكس إدراكنا للعالم، وفي هذا الإطار يمكن أن نفهم الضمني في الخطاب/ المحادثة بالاعتماد على نظرية الأطر. ويتمثل إطار المحادثة السابقة العام في مشاهدة مباراة كروية. فالسؤال"*أ شاهدت مباراة البارحة؟*" أنتجه إطار ذهني يتعلق بمفهوم هذه اللعبة وما تعكسه من أهمية لدى الجمهور، وهو ما جعل المشاركين في المحادثة يبني كل منهما متصوراته وفق ما تتطلبه قوانين هذه اللعبة التي تجلت معجميا في اختيار كلمات تناسب هذه اللعبة وتركيبيا في بناء أدوار كلامية مترابطة ومنسجمة مع التمثيل الدلالي الذهني وبرغماتيا في إخضاع هذه الأطر الذهنية لسياق المحادثة المعرفي والثقافي[19]، فبرهن كل متكلم على إلمامه بقوانين هذه اللعبة وموقفه من المباراة مستخدما هذه الأطر في فهم المعاني الضمنية.

ب. الخطاطات

تستخدم الخطاطات لتفسير قدرة الإنسان على القيام بالاستدلالات حول جملة من الافتراضات غير المصرح بها في القول؛ وإجراء تنبؤات حول ما سينجر عنها. و" تمثل الخطاطات أنماطا تجريدية يكون بها تنضيد المعارف عند الناس ما تعلق منها بالمعهود المتداول من الأعمال والأشياء والأحداث" (الزناد، 2011،ص 117). فهي تسهم في تنظيم الفضاء الذهني للمتكلم من خلال ترتيب الوحدات اللغوية في الفضاءات التي تتوافق مع الفضاءات الذهنية في المحادثة. فالمتكلم يبني أدواره الكلامية وفق خطاطات نموذجية قد تعوّد عليها أو جربها سابقا، فهي ارتسمت في الذاكرة واستقرت باعتبارها مناويل إنتاجية يتبعها المتكلم في إنتاج أدواره الكلامية في المحادثة وتوزيعها حسب قواعد تركيبية معهودة لديه ويسمح بها النظام اللغوي والثقافي، ولذلك جاء بناء المحادثة الذهني مخططا وفق نظام لساني وثقافي يعكس تجربة المتكلم ومدى معرفته بالبناء الخطاطي[20] العام للعبة الكرة، فنتج عن ذلك نظام معرفي ذهني يتعلق بإنتاج مفاهيم ودلالات تتعلق بقوانين هذه اللعبة ومواقف المتكلمين منها، فتولّدت عنها أدوار كلامية أُنتجت في نظام لساني معين أسهم في فهم المعاني الصريحة والضمنية على حد السواء.

3.4. المقولات العرفانية والبرغماتية في تأويل الضمني

تخضع المحادثة لعدة مقولات من أبرزها مقولات الاسترسال والتأويل. فتهتم بمقولات الاسترسال النظريات النحوية والتركيبية والدلالية وتهتم بمقولات التأويل النظريات البرغماتية[21]وخاصة البرغماتية التحادثية(موشلار، 1985، 1996)، وهي تبحث في كيف يفهم المتحدثون بعضهم بالاعتماد على مبادئ غير لسانية ومقولات عرفانية نفسية وفكرية وثقافية تمكن المتكلم من فهم المقصود ضمنيا أو احتسابه بطريقة منطقية ومعقولة[22]. فلا تقتصر مسألة التأويل على المحادثة باعتبارها إنتاجا لسانيا وغير لساني؛ بل هي مسألة برغماتية عرفانية أساسا. ويكمن الإشكال في المحادثة في كيف يخضع المتكلم التسلسل اللساني للبنية البرغماتية العرفانية؟ وكيف يرتبط التسلسل بالتأويل وخاصة المعاني الضمنية؟ كيف نفسر أنّ كلمة ما تعني معنى آخر في سياق آخر؟ لماذا لا تعبر بعض الملفوظات عن معناها الحرفي؟ هل الضمني في المحادثة ضرورة لسانية أم هل هو ضرورة برغماتية عرفانية؟

للإجابة عن هذه التساؤلات تعددت المواقف والمقاربات "فبالنسبة إلى التفاعليين لا يكمن المعنى في الملفوظ؛ بل هو بنية تفاعلية حوارية تخضع لنتيجة المجرى التفاوضي التفاعلي" (موشلار، 1996، ص14). وبالنسبة إلى البرغماتيين والعرفانيين يتشكل المعنى من خلال السياقات والمعرفة المشتركة والمناويل الثقافية والأفضية الذهنية والتكامل المتصوري أو المزج والتخطيط.

يربط المؤوّل بين العوامل البرغماتية والعوامل العرفانية في فهمه المعاني الضمنية وتأويلها وذلك عن طريق تنشيط ذاكرته المعرفية والثقافية باستحضاره مناويل وخطاطات قد عرفها مسبقا أو تعوّد عليها فأصبحت أطرا ذهنية يرتكز عليها في إنتاج المحادثة وتأويلها، ولذلك تؤثر الحالات العرفانية العميقة في البنية التفاعلية السطحية[23] من خلال بناء الأفضية الذهنية الممكنة بواسطة التكامل المتصوري/ المزج والعلاقات التضمينية التصورية. فيلجأ المتكلم إلى عملية المزج التي "تخضع أساسا لتخطيط الإسقاط والمحاكاة الحيوية لإنشاء البنية الظاهرة وإبراز العمليات المتصورية الجديدة التي تشمل توليد الاستدلالات وردود الفعل العاطفية والقوة الخطابية" (كولسن Coulson وماتلوك Matlock، 2009، ص 104). وإذن يقوم المتكلم بإسقاط التكامل المتصوري على بنية جزئية تتكون من مجالين مدخلين أو أكثر، فتتكامل المعلومات في فضاء ذهني جديد يمزج فيه بين مفهومين أو أكثر، ولكي يمرّ من المعاني الصريحة إلى المعاني الضمنية يعتمد على تخطيط المجال التصوري الأصل ليتمكن من تخطيط المجال التصوري الهدف وعندها يتمكّن من فهم الضمني وتأويله. ففي المحادثة أعلاه اعتمد كل مشارك على أفضية ذهنية عامة ومخصوصة، تتمثل العامة في معرفة قوانين كرة القدم وأهميتها في المجتمع وهذا ما جعل عملية التفاعل تكون ناجحة؛ وتتمثل المخصوصة في المواقف الصريحة والضمنية التي أنتجها كل متكلم في أدواره الكلامية باعتبار أنّ المقولات المتصورية في اللغة تصبح مقولات لسانية، فيحولها المشاركون إلى علامات لسانية وفق تخطيط ذهني معين؛ إذ تكون حسب (أوركيوني، 1996) "المحتويات الضمنية مذكورة في القول بطريقة ما" (ص 21). فالافتراضات بالنسبة إليها تعد معارف سابقة يستقيها المتكلم من معرفته الموسوعية الأساسية والمشتركة مع المجموعة الكلامية التي ينتمي إليها، أما

المحتويات الضمنية فهي تشكل معلومات جديدة قابلة للنقاش والتأويل. وفي هذا الإطار بنى كل مشارك في المحادثة السابقة أفضيته الذهنية على أشياء موجودة بطريقة مسبقة في المناويل الثقافية المخططة في ذهنه[24] وأصبحت تمثل أفضية وأطرا ذهنية تؤدي دورا مهمّا في إنتاج المقولات المتصورية وانعكاسها في مقولات لسانية مناسبة للواقع ولو بصفة جزئية. فمثّل كل دور كلامي فضاء ذهنيا تولّدت عنه أفضية ذهنية أخرى تحكمها علاقات صريحة من خلال المقبولية النحوية وحسن التكوين المعجمي والدلالي، وعلاقات ضمنية تتجلى في الترابط الذهني للمحادثة من خلال ترابط الأفضية الذهنية المخطط لها من قبل كل مشارك في المحادثة. ولكي يفهم المشارك المعاني الضمنية ويؤوّلها وجب عليه أولا أن يفهم طريقة اشتغال آلياتها العرفانية والبرغماتية. فحسب (فوكونياي، Fauconnier، 1994، 1997، 2002) يقتضي بناء المعنى تقسيم تمثيل معنى الجملة (الدور الكلامي) إلى مجالات أو أفضية ذهنية ثم يخضعها المتكلم للتخطيط والمزج حتى يتمكن من فهم المعنى الشامل للمحادثة، ثم يفكّك معانيها الضمنية الجزئية. ولكن بالنسبة إلى المحادثة باعتبارها نشاطا لسانيا واجتماعيا لا تكفي هذه الأطر والأفضية الذهنية لفهم المعاني الضمنية، ولذلك يلجأ المشارك إلى آليات برغماتية تعضد الآليات العرفانية ليتمكن من الفهم والتأويل واحتساب المعنى. وتتمثل أبرز هذه الآليات في إدراك سياق التلفظ والقيود المحيطة به وكذلك المناويل الثقافية المؤطرة لعملية الإنتاج والإنجاز التلفظي[25] وهنا تبرز أهمية المشارك ودوره في تضمين الضمني وكذلك فهمه وتفكيكه باعتباره المسؤول الرئيسي على هذه العمليات وإجراءاتها قبل اللغة في حد ذاتها.

4.4. مركزية المتكلم في التضمين وتأويل الضمني

يعتبر المتكلم مركز العملية التحادثية فهو من ينتج الأدوار الكلامية وهو من يوجه مقاصدها وفق أهداف يرسمها ذهنيا ويخطط لها، وهو كذلك من يفهم كيف يفكك معانيها الصريحة والضمنية باعتماد الآليات التي ذكرنا بعضها سابقا ومن أبرزها المناويل الثقافية التي يكتسبها المتكلم من مشارب عديدة اجتماعية وتعليمية. وتمثل هذه المناويل الثقافية الأطر والخطاطات والمخططات لما هو مشترك بين المتكلمين باعتبارها معطيات اجتماعية. وتُستعمل هذه المناويل الثقافية في مختلف المسائل البرغماتية والعرفانية والتواصلية[26] التي يلجأ إليها المشارك في المحادثة لصياغة خطته التحادثية ورسم أهدافها ومقاصدها وكذلك تأويلها. فالمتكلم هو المسؤول الأول عن استراتيجيات الإنتاج والتأويل في المحادثة، وهو من يختار عبارته وأفعاله الكلامية وهو من يضمنها المعاني المقصودة تصريحا وتلميحا ويوجهها في مسالك معينة عرفانية وبرغماتية وينتج بعضها لسانيا ويخفي أخرى برغماتيا. وقد تساعده اللغة على إنجاز ذلك وقد لا تسعفه أحيانا أخرى، وهنا يكمن الضمني وتتفرع درجاته حسب سلم الوضوح والعتمة، إذ تستنتج (أوركيوني، 1998) في هذا الإطار " أنّ هناك عددا كبيرا من القيم الإنجازية تتعذر صياغتها بوضوح لأنها لا تملك أيّ شكل خاص من أشكال الجملة أو أي عبارة إنجازية مناسبة مما يجعلها مرغمة على اللجوء إلى الصياغة الضمنية" (ص47). ولا تشذّ المحادثة عن هذا الإطار الإنتاجي العرفاني الذي يستخدم فيه المشارك المقولات الذهنية العرفانية لتفسير قدرته على الاستدلالات في المواقف المعقدة وإجراء الافتراضات حول المواقف المضمرة والقيام بتنبؤات حول ما تنتجه من معان ضمنية ممكنة. وفي هذا الإطار لا يكتفي المتكلم بما تنتجه اللغة من تعابير؛ بل يتجاوزها إلى المناويل الثقافية التي توفر له أطرا لوصف الافتراضات واستخدام الاستدلالات الصحيحة لفهم الضمني

وكشفه وتأويله. ولذلك تبقى هذه الإجراءات نسبية باعتبارها تختلف من متكلم إلى آخر ومن ثقافة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر، إذ قد تؤدي عبارات ما في ثقافة ما معان ضمنية لا تؤديها في ثقافة أخرى، وفي هذا الإطار يلجأ المتكلم إلى استخدام المقولات العرفانية والبرغماتية لتفسير المعنى الضمني وتأويله.

5. الخاتمة

كشف لنا التفاعل بين النظريات البرغماتية والعرفانية عن ميزات ثلاث في دراسة الضمني في المحادثة. تكمن الميزة الأولى في الربط بين المعاني الصريحة والمعاني الضمنية عن طريق التوليد والاشتقاق، إذ عادة ما يتولّد الضمني، سواء عن طريق الافتراضات أو المضمرات، من الصياغة اللسانية للملفوظ. وتكمن الميزة الثانية في الربط بين المقولات العرفانية والبرغماتية في فهم المعاني الضمنية وتأويلها؛ إذ يستخدم المتكلم الأطر والخطاطات والأفضية الذهنية لإسقاطها على المستويات اللسانية في المحادثة، فيكشف عن درجات تخفي المعاني الضمنية ويضبطها وفق المقولات البرغماتية مثل السياق ووضعية التلفظ وما يصاحبهما من معطيات ثقافية وقيود اجتماعية تسهم في القدرة على استنباط المعاني الضمنية في المحادثة. وتكمن الميزة الثالثة في إبراز مركزية المتكلم في عملية التلفظ ودوره في التحكم في إنتاج الضمني وتوجيهه حسب أهدافه ومقاصده من ناحية وكذلك القدرة على فهمه وتأويله من ناحية أخرى.

الهوامش

[1]انظر حول الجمع بين البرغماتية والعرفانية:

Bracops Martine, « Chapitre 2. La pragmatique cognitive. Dan Sperber et Deirdre Wilson », dans *Introduction à la pragmatique. Les théories fondatrices : actes de langage, pragmatique cognitive, pragmatique intégrée*, sous la direction de Bracops Martine. Louvain-la-Neuve, De Boeck Supérieur, « Champs linguistiques », 2010, p. 105-159. URL : https://www.cairn.info/introduction-a-la-pragmatique--9782801116111-page-105.htm

[2]انظر حول هذه المسألة:

Grice. H. Paul. (1975) Logic and Conversation. In: *Syntax and Semantics, Vol. 3, Speech Acts*, ed. by Peter Cole and Jerry L. Morgan. New York: Academic Press, 41–58.

[3] انظرحول هذه المسألة:

Bara Bruno G,1999, *Cognitive pragmatics: the mental processes of communication*, translated by John Douthwaite,2010, Massachusetts Institute of Technology.

[4]انظر حول هذه المسألة:

Dominiek Sandra, Östman Jan-Ola, Verschueren Jef. 2009.*Cognition and pragmatics: Handbook of Pragmatics Highlights*, John Benjamins Publishing Company, p102.

[5] انظر هذه المسائل في الكتاب التالي:

Schmid Hans-Jörg (Ed.). (2012). *Cognitive Pragmatics, Handbooks of Pragmatics*, vol. 4, De Gruyter Mouton, Berlin/New York,

[6] انظر حول البنية اللسانية والعرفانية للخطاب:

Van Dijk Teun A. Pragmatic Macro – Structures in Discourse and Cognition. 99-113. In http://www.daneprairie.com.

[7]انظر كتاب: *الوصائل في تحليل المحادثة: دراسة في استراتيجيات الخطاب*، إربد، عالم الكتب الحديث،2012.

[8]انظر حول هذه المسألة القسم الرابع من المرجع السابق.

[9] انظر حول هذه المسألة:

Van Dijk Teun A. Context and Cognition: Knowledge Frame and Speech Act Comprehension. 211-231.In http://www.daneprairie.com.

[10]انظر حول هذه المسألة:

Schegloff, Emanuel A. (1991). Conversation analysis and socially shared cognition, chap 8. In https://www.researchgate.net/publication/232558091.

[11]انظر حول مسألة التفاعل والمؤشرات السياقية والبرغماتية الكتاب التالي:

Gumperz John, 1989, *Engager la conversation : introduction à la sociolinguistique interactionnelle*, Paris, les Editions de Minuit.

[12]انظر حول هذه المسألة:

Kerbrat-Orecchioni, C. 1998, *L'implicite* (2éd), Paris, Armand Colin.

[13]هذه محادثة حقيقة تم تسجيلها بين طالبين يتحدثان بالعامية التونسية ثم حوّلنا نصها إلى العربية الفصحى حتى يتمكن القراء غير التونسيين من قراءتها وفهمها.

[14]انظر حول هذه المسألة كتاب: *الوصائل في تحليل المحادثة* ص 61 وما بعدها.

[15]انظر حول هذه المسألة مقالنا:

Missaoui, Khalifa. (2012). "Oralité, gestualité et intentionnalité", in : Gerda Haβler & Cordula Neis (éds). Actes du colloque, Oralité (s) et écriture(s). *Studium Sprachwissenschaft, Beiheft,* n° 41, pp. 88-104.

[16] انظر حول هذه المسألة:

Sperber, D. & D. Wilson (2002). Pragmatics, Modularity, and Mind-Reading. *Mind & Language* 17 : 3–23.

[17] أخذ هذا الرسم من كتاب أوركيوني " الضمني" *L'implicite* ص 20. ملاحظة: ترجمت ريتا خاطر هذا الكتاب تحت عنوان " المضمر" ولكننا لا نقبل هذه الترجمة لأنها لا تؤدي المعنى الأصلي كما قصدته أوركيوني إذ المضمر هو شأن يتعلق بالنحو والدلالة ولا يعبر عن المستوى البرغماتي كما ذهبت إليه صاحبة الكتاب.

[18]انظر حول هذه المسألة:

Keysar B., D.J. Barr, J.A. Balin & J.S. Brauner (2000). Taking perspective in conversation: the role of mutual knowledge in comprehension. In *Psychological Science* 11: 32–38.

[19]انظر حول هذه المسألة:

Bechtel, W. (1998). Representations and cognitive explanations: Assessing the dynamicist's challenge in cognitive science. *Cognitive Science* 22: 295–318.

[20]انظر حول هذه المسألة:

Fauconnier, G. (1997). *Mappings in Thought and Language.* Cambridge University Press.

[21] انظر حول هذه المسألة:

Nuyts, Jan. (1992). *Aspects of a cognitive-pragmatic theory of language: on cognition, functionalism, and grammar*. Amsterdam/Philadelphia, John Benjamins B.V.

[22]انظر حول هذه المسألة: لايكوف جورج (2008)، *اللسانيات ومنطق اللغة الطبيعي*، ترجمة عبد القادر قنيني، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق.

[23]انظر حول هذه المسألة:

Potter, Jonathan. (2006). Cognition and conversation. In *Discourse Studies*, (London, Thousand Oaks, CA and New Delhi), SAGE Publications. 131-140.

[24]انظر حول هذه المسألة:

Quinn, N. & D. Holland. (1987). Culture and cognition. In D. Holland & N. Quinn (eds.), *Cultural models in language and thought*. Cambridge University Press. 3–42.

[25] انظر حول هذه المسألة:

Missaoui Khalifa. (2015). *Les connecteurs dans l'analyse des conversations*. Editions Universitaires Européennes EUE.

[26]انظر حول هذه المسألة:

Carston Robyn. (2002). Linguistic Meaning, Communicated Meaning and Cognitive Pragmatics.1-17. In*terpconnect.umd.edu/~israel/ Carston-cogprags.*

Clark, H.H. & M.A. Krych (2004). Speaking while monitoring addressees for understanding. *Journal of Memory and Language* 50: 62–81.

المراجع العربية

الزناد، الأزهر. (2011). النص والخطاب: مباحث لسانية عرفنية، (ط1). مركز النشر الجامعي، تونس/ دار محمد علي للنشر، صفاقس.

لايكوف، جورج. (2008). اللسانيات ومنطق اللغة الطبيعي، (ط1). ترجمة عبد القادر قنيني، مركز أفريقيا الشرق، الدار البيضاء.

الميساوي،خليفة. (2012). الوصائل في تحليل المحادثة: دراسة في استراتيجيات الخطاب،(ط1). عالم الكتب الحديث.إربد، الأردن.

المراجع الأجنبية

Bara Bruno G,.(1999). *Cognitive pragmatics: the mental processes of communication*, translated by John Douthwaite, 2010, Massachusetts Institute of Technology.

Bechtel, W. (1998). Representations and cognitive explanations: Assessing the dynamicist's challenge in cognitive science. In *Cognitive Science* 22, (pp.295–318).

Bracops, M. (2010). « Chapitre 2. La pragmatique cognitive. Dan Sperber et Deirdre Wilson », dans *Introduction à la pragmatique. Les théories fondatrices : actes de langage, pragmatique cognitive, pragmatique intégrée*, sous la direction de Bracops Martine. Louvain-la-Neuve, De Boeck Supérieur, « Champs linguistiques », (pp. 105-159). URL : https://www.cairn.info/introduction-a-la-pragmatique--9782801116111-page-105.htm.

Carston, R. (2002).Linguistic Meaning, Communicated Meaning and Cognitive Pragmatics.1-17. In*terpconnect.umd.edu/~israel/Carston-cogprags*

Clark, H.H. & M.A. Krych. (2004). Speaking while monitoring addressees for understanding. *Journal of Memory and Language* 50, (pp.62–81).

Coulson, S. (2001). *Semantic Leaps: Frame-shifting and conceptual blending in meaning construction*. Cambridge University Press.

Coulson, S. & Matlock, T. (2009). Cognitive Science, In *Cognition and pragmatics: Handbook of Pragmatics Highlights*, Amsterdam/Philadelphia John Benjamins Publishing Company, (pp.85-109).

Cowley, S. J. & Vallée-Tourangeau F. Editors. (2013/2017). *Cognition Beyond the Brain Computation, Interactivity and Human Artifice*, (2nd) Springer International Publishing AG.

Dominiek, S. Östman J-O., Verschueren, J. (2009). *Cognition and pragmatics: Handbook of Pragmatics Highlights*, Amsterdam/Philadelphia John Benjamins Publishing Company.

Fauconnier, G. (1994). *Mental spaces: Aspects of meaning construction in natural language* [augmented paperback edition]. Cambridge University Press.

Fauconnier, G. (1997). *Mappings in Thought and Language.* Cambridge University Press.

Fauconnier, G. &Turner, M. (2002). *The Way We Think: Conceptual Blending and the Mind's Hidden Complexities.* Basic Books.

Grice, H. P. (1975). Logic and Conversation. In: *Syntax and Semantics*, Vol. 3, Speech Acts, ed. by Peter Cole and Jerry L. Morgan. New York: Academic Press, (pp. 41–58).

Grice, H.P. (1981). Presupposition and conversational implicature. In P. Cole. (ed.), *Radical Pragmatics*, (pp.183-198). New York: Academic Press.

Gumperz ; J. (1989). *Engager la conversation : introduction à la sociolinguistique interactionnelle*, Paris, les Editions de Minuit.

Heritage, J. (1984). *Structure of social action: Studies in conversation analysis*. Paris : Maison des Sciences de l'homme and Cambridge University Press.

Jutronić, D. (2015). Cognitive Pragmatics and Variational Pragmatics.in *Croatian Journal of Philosophy* Vol. XV, No. 44, (pp.233-245).

Kerbrat-Orecchioni, C. (1998). *L'implicite* (2éd), Paris, Armand Colin.

Keysar, B., Barr, D.J., Balin, J.A. &Brauner, J.S. (2000). Taking perspective in conversation: the role of mutual knowledge in comprehension. In *Psychological Science* 11, (pp.32–38).

Missaoui K. (2012). Oralité, gestualité et intentionnalité. In: Gerda Haβler & Cordula Neis(éds). Actes du colloque, Oralité (s) et écriture(s). *Studium Sprachwissenschaft, Beiheft,* n° 41, (pp. 88-104).

Missaoui K. (2015). *Les connecteurs dans l'analyse des conversations*. Editions universitaires européennes EUE.

Moeschler, J. (1996). *Théorie pragmatique et pragmatique conversationnelle*, Paris, Armand Colin.

Moeschler, J. (1985). *Argumentation et conversation :éléments pour une analyse pragmatique du discours*, Paris, Hatier.

Nuyts, J. (1992). *Aspects of a cognitive-pragmatic theory of language: on cognition, functionalism, and grammar*. Amsterdam/Philadelphia, John Benjamins B.V.

Potter, J. (2006). Cognition and conversation. In *Discourse Studies,* (London, Thousand Oaks, CA and New Delhi), SAGE Publications, (pp. 131-140). www.sagepublications.com

Quinn, N. &Holland, D. (1987). Culture and cognition. In D. Holland & N. Quinn (eds.), *Cultural models in language and thought*. Cambridge University Press, (pp. 3–42).

Sacks, H., Schegloff, E., & Jefferson, G. (1974). A simplest systematics for the organization of turn taking for conversation. *Language*, *50*, pp 696–735.

Sadock, J. M. (1978). On testing for conversational implicature. In P. Cole (Ed.), *Syntax and Semantics*, Volume 9: *Pragmatics*, (pp. 281-297). Academic Press.

Schegloff, E. A. (1991). Conversation analysis and socially shared cognition, chp 8. In https://www.researchgate.net/publication/232558091.

Schmid, H-J. (Ed.). (2012). *Cognitive Pragmatics, Handbooks of Pragmatics*, vol. 4, De Gruyter Mouton, Berlin/New York,

Sperber, D. &Wilson, D. (2002). Pragmatics, Modularity, and Mind-Reading. *Mind & Language* 17, (pp.3–23).

Van Dijk Teun A. Pragmatic Macro – Structures in *Discourse and Cognition*, pp.99-113. In http://www.daneprairie.com.

Van Dijk Teun A. Context and Cognition: Knowledge Frame and Speech Act Comprehension, (pp. 211-231).In http://www.daneprairie.com.

بيانات الباحث

خليفة الميساوي، أستاذ في اللسانيات العامة، بقسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة قرطاج (تونس)، وجامعة الملك فيصل بالمملكة العربية السعودية. حصل سنة 2008 على درجة الدكتوراه في اللسانيات العامة من جامعة ليون 2 بفرنسا وجامعة قرطاج بتونس. تدور اهتماماته البحثية حول التداولية وتحليل الخطاب والمصطلحية والترجمة.

AUTHOR BIODATA

Khalifa Missaoui is an Associate Professor of Linguistics, at the Department of Arabic, College of Arts, King Faisal University, and the Department of Arabic, College of Arts, University of Carthage (Tunisia). He obtained his PhD in 2008 from the University of Lyon 2 and the University of Carthage. His research interests include: pragmatics, discourse analysis, terminology and translation studies.

معرف أوركيد (**ORCID**): 0000-0002-8738-1509

Email: mkhalifatn@yahoo.fr